أحاديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان

-رواية ودراية-

د/ أبو بكر كافي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مما لا ريب فيه أن ما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أمور الغيب يجب اعتقاده والإيمان به،سواء أدركنا حكمته أم خفيت علينا،وسواء تواتر الخبر أم لم تواتر،وسواء ذكر في القرآن الكريم أم لم يذكر،وسواء وقع عليه الإجماع أم لم يقع.فكيف بأمر قد صح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وبلغ حد الاستفاضة والتواتر،والقرآن الكريم يؤيده ويصدقه،وقام إجماع أهل العلم من أهل السنة على قبوله واعتقاده ،بل والإنكار على مخالفه ،والإغلاظ عليه،و تبديعه وتضليله،وكشف زوره ومينه،ودحض شبهاته ورد مفترياته، من تلكم الأمور عقيدة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ،فقد صحت الأخبار عن الرسول-صلى الله عليه وسلم- في ذلك وتواترت، ودوّنها أهل السنة والجماعة في مقررات عقائدهم ،ولكن ما يزال في كل عصر من يشوش على المسلمين أمر دينهم ،ويريد التشكيك في بعض عقائدهم ،جدالا بالباطل بغير علم ولا هدى ولا سلطان منير،فقد طعن بعض من انتسب إلى العلم وليس منه ، ودثر بدثاره وهو عنه عار،وتشبع بما لم يعط ، فأنكر عقيدة نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان ،وزعم- وبئس ما زعم- أن الأحاديث الواردة في ذلك أخبار آحاد لا تثبت بها عقيدة فأردت بيان هذه المسألة ضمن المطالب الآتية:

- أحاديث نزول عيسى عليه السلام ومن رواها من الصحابة الكرام.
- نصوص العلماء في حكمهم على هذه الأحاديث بالصحة والتواتر.

- أقوال العلماء في وجوب اعتقاد نزول المسيح ابن مريم آخر الزمان.
- شبهات المنكرين والرد عليها.
- الخاتمة.

المطلب الأول: أحاديث نزول عيسى عليه السلام ومن رواها من الصحابة الكرام.

إن أحاديث نزول عيسى عليه السلام قد بلغت من الكثرة والاستفاضة،وقد تعددت ألفاظها واختلفت،وتباين رواتها، بحيث يصعب حصرها كلها في مثل هذا البحث الموجز لذا سأكتفي بسرد رواية البخاري ومسلم لكونهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم ،وقد تلقت الأمة كتابيهما بالقبول والتسليم،وأذكر من روى هذه الأحاديث من الصحابة الكرام،وأحيل على مظانها من كتب الأئمة الأعلام، لمن أراد الوقوف عليها.

قال الإمام البخاري:حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح عن بن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم بن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها"[1].

ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا"

وحدثنا بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن بن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"كيف أنتم إذا نزل بن مريم فيكم وإمامكم منكم"[2].

وروى مسلم:عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله:- صلى الله عليه وسلم-" يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه. قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفا، ولا ينكرون منكرا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون، فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارّ رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا[3] ورفع ليتا قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم " وقفوهم إنهم مسؤولون " قال ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال من كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ،قال: فذاك يوم " يجعل الولدان شيبا " وذلك " يوم يكشف عن ساق" [4]

هذا و لم ينفرد الشيخان بتخريخ هذا الحديث، فقد رواه جمع من الأئمة في كتبهم في الصحاح والسنن والمسانيد عن عدد كبير من الصحابة وهم :

أبو هريرة،وجابر بن عبد الله،و النواس بن سمعان،وعبد الله بن عمرو بن العاص،وحذيفة بن أسيد الغفاري،وثوبان مولى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ،ومجمّع بن جارية الأنصاري،وأبو أمامة الباهلي،وعبد الله بن مسعود،وعثمان بن أبي العاص،وسمرة بن جندب،وعبد الله بن عمر ،وأنس بن مالك،و واثلة بن الأسقع،وابن عباس،وأوس بن أوس الثقفي،وعمران بن حصين،وعائشة،وسفينة مولى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وحذيفة بن اليمان،وعبد الله بن مغفّل،وعبد الرحمن بن سمرة،وأبو سعيد الخدري،وعمار بن ياسر،وكيسان بن عبد الله بن طارق،وسلمة بن نفيل السكوني.رضي الله عنهم

فهؤلاء قرابة الثلاثين صحابيا رووا هذا الحديث عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقد بلغت أحاديثهم قرابة السبعين حديثا . وكلها تتضمن نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان ،وأنه يقاتل الدجال ،ويكسر الصليب ويقتل الخنزير[5].

المطلب الثاني: نصوص العلماء في حكمهم على هذه الأحاديث بالصحة والتواتر.قد حكم كثير من العلماء بصحة أحاديث نزول عيسى عليه السلام وتواترها.والتواتر يغني عن صحة الإسناد ،ويقطع معه بثبوت الخبر،فقد سبق أن ذكرت تخريج البخاري ومسلم لهذه الأحاديث ،وهو حكم منهما بصحتها،وقد أوردها ابن حبان في صحيحه[6] ،وصححه الترمذي[7] وغيرهم كثير.

وقد نص كثير من العلماء والحفاظ في القديم والحديث على استفاضتها وتواترها،وسأسوق بعضا من كلام هؤلاء حتى يكون فيه مقنع للمنصف ،وحجة بالغة على المعاند المجحف،فمن هؤلاء العلماء الذين نصوا على تواترها:

أولا:الإمام ابن جرير الطبري:قال:- عند عرضه لأقوال العلماء في تفسير قوله تعالى "إني متوفيك ورافعك إلي"- "...وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك :أني قابضك من الأرض ورافعك إلي،لتواتر الأخبار عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم-أنه قال :ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال..." [8]

ثانيا:الإمام أبو الحسن الآبري[9]الشافعي قال :"تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة ،وأن عيسى يصلي خلفه"نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح وأقره[10].

ثالثا:الإمام ابن عطية الغرناطي **قال:"وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر ،من أن عيسى في السماء حي ،وانه ينزل في آخر الزمان،فيقتل الخنزير،ويكسر الصليب،ويقتل الدجال،ويفيض العدل ،وتظهر به ملة محمد – صلى الله عليه وسلم-ويحج البيت ،ويعتمر"**[11]

رابعا:الإمام أبو الوليد بن رشد،قال:"ولابد من نزول عيسى عليه السلام،لتواتر الأحاديث بذلك"نقله عنه العلامة الأبّي في شرحه لصحيح مسلم[12] مقرا له.

خامسا:الحافظ ابن كثير ،قال:"وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا"[13].

سادسا:العلامة الشوكاني قال-بعد سرده لأحاديث المهدي والدجال ونزول عيسى-:"فتقرر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة،والأحاديث الواردة في الدجال متواترة،والأحاديث الواردة في نزول عيسى بن مريم متواترة"[14]وقد ألف في ذلك رسالة سماها"التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح"وقد طبعت قديما

سابعا: العلامة صديق حسن خان،فقد صرح بتواترها في كتابه "الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة"[15]،وقد طبعت قديما أيضا.

ثامنا:العلامة محمد بن جعفر الكتاني فقد أدرج أحاديث النزول ضمن كتابه"نظم المتناثر من الحديث التواتر"قال رحمه الله:"وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ،ثم قال:والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة،وكذا الواردة في الدجال ،وفي نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام"[16]

تاسعا:العلامة أبو الفضل عبد بن محمد بن الصّديق الغماري ،فقد نص أيضا في كتبه على تواتر أحاديث نزول عيسى ابن مريم ،وأفردها بمصنفين أولها :إقامة البرهان على نزول عيس في آخر الزمان وثانيهما:عقيدة أهل الإسلام في

نزول عيسى عليه السلام ،وهما مطبوعين وقد أفدت منهما كثيرا.وكذلك أخوه الشيخ عبد العزيز الغماري،فقد حكم بتواترها[17].

عاشرا:الشيخ محمد زاهد الكوثري:قال في كتاب خصّه لهذه المسألة سماه "نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة"[18]:

"وأما تواتر أحاديث المهدي والدجال والمسيح فليس بموضع ريبة عند أهل العلم بالحديث،وتشكّك بعض المتكلمين في تواتر بعضها –مع اعترافهم بوجوب اعتقاد أن أشراط الساعة كلها حق فمن قلة خبرتهم بالحديث "

حادي عشر:العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني :فقد صرح هو أيضا بتواترها في مواضع من كتبه وتعليقاته،فمن ذلك قوله–وهو يرد على من يحكمون على كثير من الأحاديث بأنها أخبار آحاد ،وهي عند أهل العلم بالحديث متواترة–:"وكذلك يحكم بعدم التواتر على حديث نزول المسيح،وظهور الدجال ،مع أن حديث النزول متواتر عند أهل الحديث ،وقد كنت جمعت له –أنا وحدي– عشرين طريقا عن عشرين صحابيا كلها تصرح،بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان"[19]

وقال أيضا:"اعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة يجب الإيمان بها،ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد،فإنهم جهّال بهذا العلم ،وليس فيهم من تتبع طرقها،ولو فعل لوجدها متواترة ،كما شهد بذلك أئمة هذا العلم ،كالحافظ بن حجر وغيره،ومن المؤسف حقا أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم،لاسيما والأمر دين وعقيدة"[20].

فهؤلاء أكثر من عشرة من الحفاظ في القديم والحديث صرّحوا بتواتر أحاديث نزول المسيح في آخر الزمان،وإنما ينكر تواترها من لا دراية له بعلم الحديث.

المطلب الثالث:أقوال العلماء في وجوب اعتقاد نزول عيسى آخر الزمان.

لقد اتفق العلماء رحمهم الله على تصحيح حديث نزول المسيح عليه السلام ،والاحتجاج به ،وذكره ضمن كتب العقائد،والتنصيص على أنه من الأمور التي يجب اعتقادها،والإيمان بها،وقد أجمع العلماء على ذلك وقد نقل الإجماع غير واحد من العلماء ،ولم يخالف في ذلك إلا من شذّ ممن لا يعتد بوفاقه ولا بخلافه.فممن نقل الإجماع الإمام ابن عطية وسبق كلامه ،ونقله الإمام ابن حيان الأندلسي أيضا حيث قال :"وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام حي في السماء ،وسينزل إلى الأرض،إلى آخر الحديث الذي صح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم في ذلك"[21].

وممن حكى الإجماع أيضا العلامة السفّاريني قال رحمه الله:"قد أجمعت الأمة على نزول عيسى بن مريم عليه السلام ،ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ،وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافة ،وقد انعقد إجماع الأمة على انه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ،وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء،وإن كانت النبوّة قائمة به، وهو متصف بها "[22]

وقد ثبت القول بنزول عيسى عليه السلام من غير واحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة والعلماء من سائر المذاهب على مرّ الزمن إلى وقتنا هذا،

فأما الصحابة فقد سردنا أكثر من ثلاثين ممن روى حديث النزول،وأما التابعون فأكثر من أن يحصيهم العدّ ، منهم: سعيد بن المسيب ،والحسن البصري،وزيد بن أسلم،و قتادة ،ومجاهد،ومحمد بن الحنفية،وشهر بن حوشب،والسدي ،والضحاك، وأبو العالية،وابن سيرين،وغيرهم ،والآثار عنهم في ذلك كثيرة ،أوردها كثير من المفسرين كابن جرير الطبري ،والبغوي،وابن كثير،والقرطبي،وابن حيان،والسيوطي في الدر المنثور،والألوسي وغيرهم.في تفسير قوله تعالى:"**ويكلم الناس في المهد وكهلا**"وقوله"**إني متوفيك ورافعك إلي**" وقوله"**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**"وقوله"**وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها**"

وأما النقل عن الأئمة فكثير جدا يتعذر استيعابه،لذا سأكتفي بالنقل عن كبار الأئمة في كل مذهب :فمن هؤلاء إمام دار الهجرة مالك فقد نقل عنه ذلك الإمام الباجي في شرح الموطأ،والعلامة الأبي في شرح مسلم ،وهي الرواية الصحيحة عنه[23].والمالكية كلهم على هذا.

وأما الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن،فقد نقل ذلك عنهم الإمام أبو جعفر الطحاوي في عقيدته،قال رحمه الله:"ونؤمن بأشراط الساعة:من خروج الدجال،ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء،ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها،وخروج دابة الأرض من موضعها"[24]والحنفية كلهم على هذا.

وأما الإمام أحمد فقد صرح بذلك في رسالته إلى عبدوس العطار،قال رحمه الله:"...والإيمان بأن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر،والأحاديث التي

جاءت فيه،والإيمان بأن ذلك كائن،وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لدّ "[25]وصرح بذلك في رسالته إلى مسدّد أيضا[26].والحنابلة كله على هذا.

وأما الشافعي فلم أقف له على نص في المسألة ،وكبار الشافعية في كل عصر يثبتون حديث النزول ،ويعتقدونه ،وقد سبق نقل الإجماع على ذلك من كلام الإمام الآبري الشافعي،ومنهم الإمام أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة[27]والإمام النووي في شرح صحيح مسلم ،والإمام ابن حجر في الفتح،و السيوطي في الدر المنثور،وفي "العرف الوردي في أخبار المهدي " بل ألف كتابا خاصا سماه "الإعلام بحكم عيسى عليه السلام" صرح فيه بكفر منكر نزول عيس عليه السلام وهما مطبوعان ضمن الحاوي للفتاوي[28].

وقد حكاه الإمام أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والحديث في كتابه مقالات الإسلاميين ،قال:"..ويصدقون بخروج الدجال أن عيس ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله"

ونقله إمام الظاهرية في زمانه ،أبو محمد ابن حزم في مواضع من كتبه كالمحلى والفصل وغيرها[29].فهؤلاء كلهم متفقون على إثبات نزول عبيسى عليه السلام في آخر الزمان.

المطلب الرابع :شبهات المنكرين والرد عليها.

لقد أنكر قديما بعض الفلاسفة والمتكلمين نزول سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان،وتابعهم وقلّدهم في ذلك بعض المعاصرين ،فأنكروا هذه الأحاديث ولهم في ذلك شبهات واهية سنقوم بعرضها ونقضها بإذن الله تعالى:

الشبهة الأولى: إن هذه الأحاديث أحاديث آحاد ،وما كان كذلك لا تثبت به عقيدة ،لأن العقائد تبنى على اليقين،وأخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن.

لقد بينت من روى هذا الحديث من الصحابة ،ومن أخرجه من أصحاب كتب السنة،وأنه حديث صحيح متواتر،ولقد سقت كلام أئمة الحديث في كل عصر في التنصيص على ذلك.

ولو سلّمنا أنه حديث آحاد،فلا نسلّم بأن حديث الآحاد يفيد الظن مطلقا،بل المسألة فيها خلاف بين العلماء ،وقد اختار كثير من المحدثين ،والأصوليين ،أن أخبار الآحاد الصحيحة ،تفيد اليقين ،وخاصة إذا انضمت إليها القرائن،وهو مقتضى صنيع أئمة السنة وشرّاحها في الاستدلال بأخبار الآحاد في العقائد والمغيبات،وهو الراجح، وتفصيل هذه المسألة مبسوط في مظانه[30].

الشبهة الثانية: إن هذا الخبر من المسيحيات التي تسربت إلى الإسلام.عن طريق بعض من أسلم من أهل الكتاب مثل وهب بن منبه وكعب الأحبار وغيرهما.

هذه الشبهة اختلقها أبو رية وتبعه عليها آخرون،وليس فيما صح وثبت من طرق أحاديث نزول عيسى طريق واحد عن كعب الأحبار أو وهب بن منبه.

الشبهة الثالثة: إن عيسى عليه السلام مات ودفن وأن رفعه الوارد في القرآن مجازي.وادعوا أن المراد بالتوفي في قوله تعالى:"إني متوفيك ورافعك إلي"هو الإماتة العادية وإن الرفع بعد ذلك هو رفع الروح ،وقد ذهب إلى هذا الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا[31].

نقول هذا تأويل وإخراج لنصوص الكتاب والسنة عن ظواهرها بغير قرينة شرعية ولا عقلية،وهو خلاف كلام المفسرين[32]،وتحقيق المسألة على وجه الإيجاز أن مادة التوفي موضوعة في اللغة لمعنى واحد:هو قبض الشيء واستيفاؤه،وهذا المعنى قدر مشترك بين قبض الروح بالنوم،وقبض الدين ،وقبض الأجر على عمل ما،وغير ذلك من المعاني التي يطلق عليها لفظ التوفي،فهو من قبيل المشترك المعنوي،والقاعدة فيه أنه إذا أريد به فرد معين من أفراده قيد اللفظ بما يدل على ذلك الفرد ،وعلى هذا الأسلوب جاء القرآن الكريم،فإنه تارة أراد بالتوفي خصوص الموت،فقيد اللفظ بالقرينة الدالة عليه كقوله تعالى:"**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم**"وقوله "**إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم**"وقوله :"**حتى يتوفاهن الموت**" وقوله:"**توفني مسلما وألحقني بالصالحين**" وغيرها.وتارة أراد خصوص النوم فقيده أيضا كقوله تعالى:"**الله يتوفى الأنفس حين موتها**"وقوله :"**وهو الذي يتوفاكم بالليل**" وتارة أراد الأجر والجزاء كقوله:"**ثم توفى كل نفس ما كسبت**" فإذا جاء اللفظ مجردا عن القرينة لم يجز أن يدعى أن هذا المعنى أظهر فيه من ذاك بل إلى أن يقوم على تعينه دليل[33].والقرينة التي صرفت الوفاة عن الإماتة الطبيعية هي قوله تعالى:" **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا** ""[آل عمران:46] وقوله:" **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**"[النساء:159]

الشبهة الرابعة:إن هذه الأحاديث تعارض القرآن الكريم ،والسنة الثابتة الصحيحة ،والإجماع على أنه لا نبي بعد محمد-صلى الله عليه وسلم-وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة. ولقد أجاب على هذه الشبهة القاضي عياض في شرحه

لحديث النزول في صحيح مسلم فقال:"نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق،وصحيح عند أهل السنة،للأحاديث الصحيحة في ذلك،وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله،فوجب إثباته،وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم،وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى:"وخاتم النبيئين"وبقوله- صلى الله عليه وسلم- "لا نبي بعدي" وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا -صلى الله عليه وسلم- وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ.

هذا استدلال فاسد ،لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا،وليس في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا ، بل صحت الأحاديث أنه ينزل حكما مقسطا بحكم شرعنا،ويحي من أمور شرعنا ما هجره الناس"[34]

هذا وقد وردت في القرآن أربع آيات تؤيد هذه الأحاديث وتصدقها وهي: قوله تعالى:" إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ " [آل عمران:45-46]وقوله:" إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا "[المائدة:من الآية110]وقوله"وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا،بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا،وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا"[النساء:157-159]

وقوله " وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ،وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ،إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ،وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ،وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ "[الزخرف:57-61]وبمراجعة ما ذكره المفسرون لهذه الآيات يتضح ما ذكرناه.فما من حديث صحيح إلا وفي القرآن الكريم ما يصدقه ويؤيده.وبعد نقض هذه الشبهات نجيب على تساؤل مهم :لماذا ينزل عيسى-عليه السلام- دون غيره من الأنبياء؟وما الحكمة في نزوله؟ والحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء من وجوه[35] :

الأول:الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم ،وأنه هو الذي يقتلهم .

الثاني:تكذيبه للنصارى ،وإظهار زيفهم في دعواهم الأباطيل،وقتله عليه السلام لهم.ورد من آمن منهم إلى دين الإسلام.فيبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة،ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه.

الثالث:نزوله عليه السلام لدنو أجله ،ليدفن في الأرض،إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غير التراب.

الرابع: أنه عليه السلام دعا الله تعالى أنه لما رأى صفة محمد -صلى الله عليه وسلم- أن يجعله منهم،فاستجاب الله دعاءه ،وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان.ويجدد أمر الإسلام،فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله عليه السلام.

وفي ختام هذا البحث نخلص إلى صحة أحاديث نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان ، لما في ذلك من الحكمة التي أراد الله تعالى ،وأنها أحاديث متواترة ، ،وأن أهل السنة مازالوا يعتقدون ذلك جيلا بعد جيل،ويردون على من خالفها وأنكرها أو تأولها على غير ظواهرها المرادة منها،حماية للدين ،وحراسة للمعتقد السليم ،الذي يدل عليه القرآن والسنة ،وأجمع عليه الصحابة والتابعون ،والأئمة المهديون ،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.و ندعوا من أنكر هذه الأحاديث أو تأولها بتأويلات فاسدة إلى أن يؤوب إلى الحق،وأن يسلّم لأهل العلم،ويرجع إلى أهل الاختصاص،ولا يشقّ جماعة المسلمين،و يبلبل عقيدة الأمة.بشبهات واهية لا قيمة لها في الميزان العلمي الصحيح.

الهوامش:

(1) كتاب :كتاب الأنبياء،باب :باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام،رقم (3264)3/ 1272،وفي كتاب البيوع ،باب قتل الخنزير(2109)2/774، وكتاب المظالم،باب كسر الصليب وقتل الخنزير(2344)2/875. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان،باب:باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد،رقم (155)1/135.

(2)كتاب الأنبياء،باب:باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام،رقم (3265)3/1272، وراه مسلم في كتاب الإيمان،باب :باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد،رقم(155) 1/136.

(3) اللّيت:بكسر اللام ،صفحة العنق،وهي جانبه،وأصغى :أمال. انظر شرح النووي على مسلم:64/18.

(4) كتاب الفتن و أشراط الساعة،باب :باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى رقم(2940)2258/4.

(5) انظر هذه الأحاديث في "التصريح بما تواتر في نزول المسيح للشيخ العلامة المحدث محمد أنور شاه الكشميري ،بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ،وإقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان ،للشيخ المحدث أبي الفيض عبد بن محمد بن الصديق الغماري،-ط3-عالم الكتب بيروت1410-1990م،ص26-75 .

(6) صحيح ابن حبان ،كتاب التاريخ،باب إخباره —صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن والحوادث15/224-234 .

(7) جامع الترمذي،كتاب الفتن،باب ماجاء في نزول عيسى عليه السلام(2233)506/4.

(8) جامع البيان عن تفسير القرآن :203/3 .

(9) هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم السجستاني ،ينسب إلى آبر قرية بسجستان ،رحل إلى الشام وخرسان والجزيرة ،روى عن ابن خزيمة وطبقته،حافظ إمام ،صنف "مناقب الشافعي"مات سنة 363 هـ عن نحو ثمانين سنة .انظر ترجمته في:طبقات الحفاظ:ص383 وطبقات الشافعية للإسنوي:ص30،وشذرات الذهب 46/:3 .

(10) فتح الباري :569/6 .

(11) المحرر الوجيز:1/ .

(12) 265/1.

(13) تفسير القرآن العظيم :169/4.

(14) انظر عقيدة اهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام للحافظ أبي الفضل بن الصديق الغماري –ط2–عالم الكتب،1406–1986،ص 14 .

(15) انظر المصدر نفسه ص 14 .

(16) نظم المتناثر:ص147 .

(17) انظر إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادات في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة–ط1–دار الفكر بيروت1416–1996،ص1 .

(18) ص 49 .

(19) وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين،الشيخ محمد ناصر الدين الألباني –ط2–المكتبة الإسلامية،عمان،ص46–47 .

(20) انظر تعليق الشيخ الألباني على شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي – ط9–المكتب الإسلامي ،بيروت 1408–1988،ص 501.

(21) النهر الماد من البحر ،مطبوع على حاشية البحر المحيط :473/2.

(22) لوامع الانوار البهية:94/2-94 .

(23) انظر عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام ،ص19–20.

(24) العقيدة الطحاوية ،بتعليق الشيخ بن باز ،ص26.

(25) انظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ،دار الآفاق،ص173.

(26) انظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ،دار الآفاق،ص169.

(27) ص337-338.

(28) انظر عقيدة أهل الإسلام ،ص25-26.

(29) انظر المحلى :9/1و391/7، والفصل في الملل والأهواء والنحل :68/1و138/4.

(30) انظر إقامة البرهان:81- 84،والحديث حجة بنفسه في القائد والأحكام للشيخ للألباني، وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين،الشيخ الألباني ،وغيرها.

(31) تفسير المنار:316/3-317

(32) انظر تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي والنسفي والأولسي لهذه الآية.

(33) إقامة البرهان:132-133.

(34) انظر شرح النووي لصحيح مسلم-ط1-مكتبة الصفا بالقاهرة ، 63/18

(35) انظر فتح الباري:568/6 .